سلسلة

اللهم قوِّ إيماننا

[٦]

# بريء في محكمة الجنايات

تأليف : د. علي راشد

ريشة : أسامه أحمد نجيب

دار الفكر العربي

منال عبد العزيز زوجةٌ جميلةٌ تميلُ إلى البدانة بطبيعتها، ولحبِّها الشديد لتناول الحلوى بجميع أصنافها وأنواعها، كما أنها تحبُّ أنْ ترتدى أفخر الثياب التى تُظهرُ جمالَها وأنوثتَها وأناقتها، وأنْ تتعطرَ بأرقى العُطور ذات الروائح الزكيَّة، ومن سمات شخصيَّتها أنْ تكونَ الزَّعيمةَ والقائدةَ لأىِّ جلسةٍ منَ الجلسات، فهى دائمةُ التحدُّث ولا تتركُ للآخرينَ إلا قدرًا يسيرًا منْ زمنِ الحديث، وهى تدَّعى دائما بينَ صديقاتها وجيرانها ومعارفها أنَّها عليمةٌ ببواطنِ الأُمور وخبيرةٌ فى المعارفِ السِّياسيَّةِ والاقتصاديَّةِ والاجتماعيَّةِ والفنيَّةِ؛ المحليَّةِ منها والعالميَّة، وأنها على علم بها قبلْ أنْ تظهرَ وتُسمعَ فى وسائلِ الإعلامِ المختلفة، وتُبيِّنُ للجميعِ أنَّها تستقى المعلومات، غيرَ القابلةِ للنَّشرِ منْ زوجِها مُقدم الشُّرطةِ يُوسف البندارىِّ نائبِ رئيسِ وحدةِ

مُكافحة المخدِّرات بوزارة الداخليَّة. ولأنَّهُ متَّصلٌ مُباشرةً بقيادات شرطة عُليا: فإنهُ يعرفُ الكثيرَ منَ الأخبار والأسرار والخبايا، الَّتى تصبُّ بطبيعة الحال لدى زوْجته الجميلة منال، وهى تقومُ بدورها فى إذاعتها على الصَّديقات والجيران والمعارف والأقارب كأفضل وكالة أنباء، مثل وكالة رويتر ووكالة تاس، وغيرها منْ وكالات الأنباء العالميَّة.

وقدْ رزق اللَّهُ تعالى يُوسف البندارىَّ وزوجتَهُ منال عبد العزيز بطفْل جميل يُدعَى «سامح» أدخلاهُ مدرسةً أجنبيَّةً، وهوَ مُجتهدٌ فى دراسته وتعليميه، ومعروفٌ بذكائه ونشاطه، ومنَ الأوائل بينَ أقرانه فى مرحلة «كى جى تو». ولأنَّ حياةَ منال عبد العزيز يمكنُ أنْ يُقال عنها «مُترفةٌ»، فهى تحتاجُ الكثيرَ منَ النفقات لمظهرها وملابسها المستوردة وحفلاتها وسهراتها؛ ولأنَّ راتب زوجها - علاوةً على دخْل منْ ميراث عائلىٍّ - لا يستطيعُ أنْ يُوفى بكُلِّ متطلبات هذه الحياة، لذا فإنَّ منال دفعتْ زوجَها وبطريقة غير مُباشرة أنْ يستمْرئَ الحرام، فلجأ إلى قبُول الهدايا والرَّشاوى المتقطِّعة أو الدَّائمة، فكانتْ هُناكَ أمْوالٌ توضعُ شهْريًا فى حسابه الجارى بأحد البنُوك الاستثماريَّة، وذلك منْ قبل بعض تُجَّار المخدِّرات لتسهيل أمورهم، والتَّستُّر على صفقاتهمْ وحمايتها منْ أنْ تنكشف من جهات أخْرى، كما كانت الهدايا بكُلِّ أنواعها منْ تُحف غالية، وساعات قيِّمة، وتليفونات محمولة، أمَّا أقْفاصُ الفاكهة واللُّحوم والطُّيُور والأسْماك المتميِّزة وغيرها فكانتْ تأتيه بصفة مُستمرَّة حتَّى أنَّ زوْجتَهُ منال كانتْ تضيقُ - فى أغْلب الأحوال - منْ كثرة هذه

الهدايا والعطايا، فكانتْ تُفرِّقُ الكثيرَ منها على أقاربها وأهلها وجيرانها وصديقاتها، وكانوا يسعدون بذلك رغم علمهمْ بمصادرها.

ونجح الطفلُ سامحٌ بتفوُّقٍ ملحوظٍ في مدرسته، وكان من الأوائل على أقرانه، فكان لابدَّ من احتفالٍ كبيرٍ بهذه المناسبة السَّعيدة، وفعلًا أقام المقدمُ يوسفُ البنداريُّ وزوجتُهُ منال عبد العزيز حفلًا فاخرًا رُصدتْ له ميزانيةٌ ماليةٌ ضخمةٌ أُنفقتْ على مظاهر هذا الحفلِ منْ أطعمةٍ وحلوى ذات المستوى العالي، وكذلك على العُروض الفنيَّة والموسيقيَّة والغنائيَّة الخاصَّة بالأطفال وأيضًا بالكبار. وحضرَ الحفلَ العديدُ من الأهل والأقارب والجيران والأصدقاء، وبعضُ أصدقاءِ وصديقاتِ سامح في المدرسة، وعلى رأس المدعوِّين العميدُ فاروقُ الدَّهشانُ رئيسُ مباحث المخدِّرات بوزارة الدَّاخليَّة، وهُو حريصٌ على تلبيةِ دعواتِ المقدَّم يُوسف البنداريِّ دائمًا، لِمَا يجدُهُ منْ كرمِ ضيافةٍ وكلماتِ ترحيبٍ مغلَّفةٍ بدلالٍ أنثويٍّ ليس من السَّهْلِ مُقاومتُهُ منْ تلكَ الزَّوجةِ الجميلةِ منال التي ما تنفكُّ تُشاغلُهُ طوالَ الحفلِ بحديثها الجذَّابِ وابتسامتِها المغريةِ وملابسِها المثيرةِ وعطرِها الجذَّاب، وكانَ سيادةُ العميدِ ينتشي في سعادةٍ وهذه الجميلةُ الحسناءُ تُناديه طوالَ الوقتِ بـ «سعادةِ الباشا»:

- منوَّر يا سعادةَ الباشا .. - شرَّفت الحفْلَ يا سعادةَ الباشا .. - ربنا يخليك لينا يا سعادةَ الباشا.

ودار الحديثُ التالى بينَ المقدم يوسف والعميد فاروق وهما يحتسيان بعض كؤوس الخمر الفاخر:

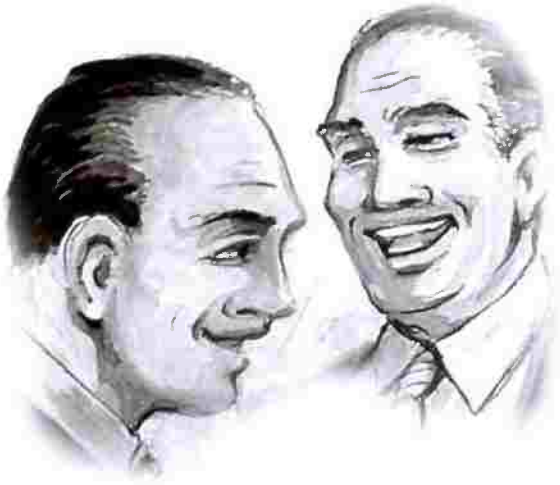

- سعادتك نورتنا يا سعادة الباشا ..

- النورُ نوركم يا يوسف، ونورُ منال هانم، وأنا دائمًا أكونُ فى سعادة وأنا فى صحبتكم..

- هذا شرف كبير لنا يا باشا ..

- على فكرة يا يوسفُ: حركة ترقيات ضباط الشرطة ستتمّ بعد حوالىْ شهرين، وإن شاء اللهُ تكونُ ممنْ سيرقُّون إلى رتبة العقيد.

- البركة فى سعادتكَ يا سعادة الباشا ..

- فى الحقيقة منذُ عدة أيام أطلعتَ على ملفك ضمنَ ملفات بقية الضباط ووجدتهُ مُستوفى نقاط الترقية إلا فى نقطة واحدة أود أنْ تستكملها خلال أسبوعينْ أو ثلاثة على الأكثر.

- أنا تحت أمرك يا باشا، لكنْ ما هى تلكَ النقطة التى تتحدث سعادتك عنها؟

- أريدُ أنْ أدعمَ ملفَك بضبطيةٍ أخيرةٍ منْ ضبطيَّاتِ المخدِّراتِ قبلَ رفعِ الملفِ للسيِّد نائب وزير الداخلية.

وبكلِّ جديةٍ وثقةٍ قالَ المقدَّم يُوسُف:

- بإذن اللهِ يا فندم قبل مُرورِ أسبوعيْن منَ الآنَ سوْف أستكملُ ملفًى بضبطيَّةٍ جديدةٍ.

وابتسم العميدُ فاروقُ الدهشانُ قائلا:

- ما دامَ الأمرُ كذلكَ فأنا أستطيعُ منَ الآنَ أنْ أقولَ لكَ: مبروكٌ عليكَ الرُّتبةُ الجديدةُ يا سيادةَ العقيد..

وبفرحٍ شديدٍ وسُرورٍ واضحٍ كرَّرَ المقدمُ يوسُفُ كلماتِ الشُّكْرِ والثناءِ للعميدِ فاروق:

- اللهُ يباركْ لَنا فى سعادتِك يا سَعادة البَاشا، أنت الخَير والبَركة، دا لَولا سَعادتك مَا كنَّا نَدرى مَاذا نَفعَلُ؟

وضَحِكَ الضَّابطانِ فى سَعَادةٍ، وشَاركَتهُمَا بقُدُومِهَا الضَّحكَ والسَّعادةَ والشَّرابَ هَذهِ الزَوجةُ الجَميلةُ ذاتُ الحسنِ والإغراءِ والإثَارةِ.

وفى صباحِ اليَوْمِ التَّالى كَانَ هُنَاكَ اجتماعٌ مغلقٌ يضمُّ المقدم يُوسف البندارىَ والرَّقيبَ أول العيسَوى منْ شُرطةِ مَباحثِ المخدِّراتِ، والمتميزِ بشاربِه الضَّخمِ وجسمِه النَّحيلِ، وذلكَ فى مكتبِ المقدَّمِ يُوسُفَ، وقَدِ استُنْتِجَ العيسوىُّ منَ استدعائِه مبكرًا منْ قِبَلِ المقدَّمِ يُوسفَ أنَّ الأمرَ هَامٌّ.

وبادر المقدم يوسف حديثه للرقيب أول:

- ما سأقوله لك لا يخرج منك لأى أحد فى هذه الدنيا.

- أمرك يا فندم ..

- اسمع يا عيسوى، ترقيتى إلى رتبة العقيد بعد شهرين من الآن متوقفة على ضبطية مخدرات واحدة تقوم بها وحدتى.

- أنا تحت أمرك يا باشا، ما سوف تأمر به سوف أنفذه فورا ..

- تذهب اليوم للمعلم «أبو قرمه» تاجر المخدرات وتشرح له الموقف وتبين له حاجتنا إلى ضبط أحد صبيانه بكمية مخدرات من أجل احتساب هذه الضبطية لوحدتنا.

- أحلام سيادتك أوامر يا فندم ..

- اسمع يا عيسوى، وضح للمعلم «أبو قرمه» أن مكافاتى له أننى سأجعل صفقة المخدرات القادمة التى سيقوم بها ستكون تحت رعايتى أنا شخصيا.

- يا فندم أنا والمعلم «أبو قرمه» وكل صبيانه تحت أمر سيادتك، دا يوم المنى

عندما تترقى سيادتكم إلى رُتبة العقيد.

- شكرًا يا عيسوى، ولا تنس عندما أكونُ أنا عقيدًا، أعدك أنْ تترقى أنْت إلى رُتبة المُساعد.

- اللّه يبارك لكْ يا فندمْ، ويبقيكْ لنا دائمًا، أنتَ الخيرْ والبركة، دا لولا سعادْتك ما كُنّا ندْرى ماذا نفعلْ؟

وعلى الفوْر تحرك رقيب أوّل العيسوى مُتّجهًا إلى حىّ الباطنيّة المعْروف بانتشار تجارة المخدّرات فيه، وعلى قهوة «قرقر» جلس رقيب أوّل مباحث المخدّرات بملابسه غير الرسمية مع المعلم «ابو قرمه» وهو من اكبر تجار المخدرات فى حى الباطنية. والذى رحب بالعيسوى ترحيبا كبيرا طوال تدخينه للسيشة. وبعد ان شرب العيسوى الشاى المخصوص. واخذ «مياة» (ورقة بمائة جنيه) لزوم «الشبراد». شرح العيسوى للمعلم «ابو قرمه» المهمة التى جاء من اجلها. فقال المعلم متفهما الموقف وهو ما زال يدخن السيشة:

- يا حضرة الصول. انا ورجالى وصبيانى تحت امرك وتحت امر يوسف بيه. لكننى

قدمتُ لكمْ فى الماضى اثنين منْ أجدع صبيانى، الواد «زحلق»، والواد «تيفه»، وكلُ واحد منهما واخدْ حكم مؤبدْ، وأقومْ أنا بالصَّرف عليهمْ فى السجن زى ما أنت راسى، وبصْرفْ على أسرهمْ خارج السجْن، وليس لدىَ فى الوقت الحالى ما أقدمُهْ منْ صبيان.

- والحلُ يا معلم أبو قرمه؟ نحنْ فى حاجة إلى ضبطية سريعة لترقية يُوسف بيه، وهذه الترقية - زى ما أنت راسى - حتنفعكْ قبلَ أنْ تنفعنى.

- أنا فاهم الوضع يا حضرة الصُولْ من غير ما تقوله، لكنى لا أستطيعْ أنْ أقدمَ أحدَ صبيانى لأنَ هذا سوفَ يضرُ بشغلى، لكنْ فيه حلَ آخر.

- اسعفْنى بيه يا معلم الله لا يسيئكْ.

- أنا أعطيكَ أربع «ترب» حشيش يتمُ وضعُها فى كيسْ، وبطريقة أو بأخرى تستغلَ سذاجة أحد الشباب فى الطَّريق، بحيثُ يُمسكُ الكيسَ فى يده، وفى الوقْت نفْسه تتم كبسهة عليْه وتلفَق لهُ تهمة حيازة مُخدرات، وتُعتبرُ هذه الضبطيةُ ملبيةَ لغرض ترقية يُوسف بيه، وبكده تكونُ بعيدةَ عن صبيانى.

واستحسنَ العيسوى الفكرةَ، واستلمَ منَ المعلم «أبو قرمه» أربع «ترب» منْ مُخدرْ الحشيش، استأثرَ لنفْسه منها باثنتين للتَّعاطى أو للإهداء أو للبيْع عند اللزُوم، والأُخريان جعلهما لتنفيذ خُطَة مُحكمة لتلفيق تُهمة حيازة مخدرات لأحد من الشباب فى الطَّريق.

وبعد التفكير فى عدة بدائل توصل إلى خطة جهنمية تصلح للغرض الذى وضعت من أجله. وعرضها على المقدم يوسف البندارى، وبعد مناقشة دارت بينهما فى كيفية التنفيذ؛ وافق المقدم على الخطة وأعطاه إشارة تنفيذها فورًا.

وفى اليوم التالى - ظهرًا - كانت هناك عربة شرطة محملة بالمخبرين وعلى رأسهم الرقيب أول العيسوى بشاربه الضخم وجسده النحيل، ويقود هذه الزمرة ضابط برتبة «ملازم أول»، تقف فى أحد الشوارع الجانبية بالقرب من الميدان الشهير فى حى مصر الجديدة المعروف باسم «ميدان الجامع» حيث يتوسط الميدان مسجد، لذا سُمى بهذا الاسم. ووقف المخبر «حسنين» متنكرًا فى ملابس رجل فقير مسن ومنحنى الظهر، على رأسه طاقية بالية، ويرتدى نعلاً قديمًا يعلوه التراب، ويمسك بيده «قفصًا» من السلال لونه أصفر، وهذا القفص مملوء بأرغفة الخبز، وفى قاع هذا القفص رغيفان تم فتحهما ووضع بداخل كل منهما «تربة» من مخدر الحشيش. وانتظر المخبر المتنكر انتهاء صلاة الظهر وخروج المصلين تباعًا. وشاهد حسنين أحد الشباب وهو متأهب للخروج من باب المسجد بعد أن أدى صلاة الظهر وركعتى السنة، وبدأ فى ارتداء حذائه على باب المسجد فبادره بقوله:

- من فضلك يابنى ..

فظن الشاب أن هذا الرجل المسن الفقير يريد مساعدة مالية، فوضع يده فى جيبه وأخرج نصف جنيه قائلاً:

- تفضَّلْ يَا وَالدِى.

فَقَالَ المخبرُ المتنكِّرُ نَافيًا أَنَّه متسوِّلٌ:

- لا يَا وَلدِى أَنَا لا أطلُبُ حَسَنَةً، ولكنَّنِى أُريدُ أَنْ أدخلَ دورةَ المياه لكىْ أتوضأ، ومعى هَذَا القَفَصُ مِنْ أَرغفةِ الخبزِ لا أَستَطِيعُ أَنْ أَدخُلَ بِهِ.

فردَ الشَّابُّ فى سماحةٍ وعلا وجههُ ابتسامةٌ رضا بعد أنْ تفهَّم الموقف:

- فهمتُ يا والدى تريدُ أنْ أحتفظَ لكَ بهذا القفص وأنتظرك لحين أنْ تنتهىَ منَ الوُضوء .. أليْس كذلك؟

- نعمْ .. نعمْ يا ولدى الأمرُ كما تقولُ بالضَّبط.

- بكلِّ رضا وسُرور يا والدى، تفضَّلْ اذْهَبْ لتتوضَّأ، واطْمئنَّ سأحتفظُ لكَ بقفص الخبز حتَّى تنْتهى.

- بارك اللّهُ فيكَ يا ولدى، وأثابكَ علَى حُسْنِ صَنيعكَ.

ودَخلَ المخبزُ المتنكِّرُ المسجدَ، واتخذَ طريقهُ إلَى دَورةِ المياه، وبعد أن اطمأنَّ إلى أنَّ الشَّابَّ لا يلاحظُ تحركاته، خَرجَ منَ البَاب الثَّانى للمسْجد، المقابل للباب الأول الَّذى دخلَ منْهُ، واتَّجهَ ناحيةَ عربَة الشُّرطة، المُنتظرة، وأعطى إشارةً مُتَّفقًا عليْهَا للرقيب أوَّل العيسوى، الَّذى أعطَى بدَوره تمامًا للضَّابط قائد الكمين أنَّ كُلَّ شَىْء جاهزٌ لتنفيذ المهمَّة والقبض علَى الشَّباب المُنْتمى لعصابَة تُروِّجُ المخدِّرات، وانطلقَتْ سيَارةُ الشُّرطة بمنْ فيها لتحقيق هدفها.

وعلَى بَاب المسْجد وقفَ الشَّابُّ - واسمُهُ أحمد عز الدين مُؤمن - ممسكًا بقفص الخبز مُنتظرًا صَاحبهُ ذلكَ الرَّجُل الفقير المسنَّ الَّذى ذهَبَ ليتوضَّأ ولكنَّهُ تأخَّر بعْض الشَّىْء وتحدَّثَ الشَّابُّ مَعَ نفْسه:

- الحمدُ لله .. لقدْ أراد اللهُ عزَّ وجلَّ أنْ يزيدنى حسنات فأرسل لى هذا الرَّجُل الفقير الطيب لأصنع فيه معروفًا (ونظر إلى السَّماء داعيًا) اللَّهمَّ زدْ منْ حسناتى وكفِّرْ عنّى سيِّئاتى، واجْعلنى من الصَّالحين، آمين يا ربَّ العالمين.

وما أن انْتهى أحمد عز الدين مؤمن منْ دُعائه حتَّى وجد نفسهُ مُحاطًا بمجموعة من الرِّجال، وهُمْ يرتدُون الملابس المدنيَّة المختلفة، ويرأسهُمْ ضابطٌ (مُلازم أول) يرتدى الملابس الرَّسميَّة، وبادرهُ الضَّابط قائلا بلهْجة آمرة وبصوْت عالٍ:

- أنت .. لماذا تقفُ هكذا؟

وأربكت المفاجأةُ أحمد، ولكنَّهُ أيقنَ أنَّ الأمرَ فيه سُوءُ تفاهُم، فهُوَ لا يفعلُ إلا الخَيرَ،

ولا يرتكبْ أيَّة أخطاء تستوجبُ أنْ يتعاملَ معهُ أهلُ الشُّرطةِ. فتمالكَ نفسهُ وأجابَ:

- بعد أنْ أديتُ صلاة الظُّهرِ وهممتُ أن أخرجَ منَ المسجد سألنى رَجُلٌ مُسنٌّ فقيرٌ أنْ أحتفظ لهُ بقفص الخبز هذا لحين أنْ يتوضأَ.

فانتزع رقيب أوّل العيسوى القفص منْ يد أحمد قائلاً فى سُخْرية:

- أىُّ رجُلٍ وأىُّ خُبزٍ تتحدثُ عنهُما أيُّها المجرمُ؟

- مُجرمٌ !! ماذا تقولُ؟ أنا خريجُ كُليَّة التَّربيةِ هذا العامَ، ومُنتظرٌ تعيينى مُعلمًا فى وزارة التربية والتعليم، فيكف تسمحُ لنفسك أنْ تقولُ أننى مُجرمٌ.

فقال الضابط بلهجة آمرة عالية:

- ما اسمُك؟

- اسْمى أحمد عز الدين حسن مؤمن.

- وأينَ بطاقتُكَ الشَّخصيَّةُ؟

- معى .. ها هى (وأخرج الشَّابُّ بطاقتَهُ الشَّخصيَّةَ منْ جَيبِ بنطلُونهِ الخَلْفىِّ وأعطاها للضَّابطِ الذى أخذَ يتفحَّصُها بدقَّة).

وفى هذه الأثناء قلّب العيسوى أرغفة الخبز ثمّ أخرج من آخرها رغيفين بكلّ منهما تُربة حشيش، ورسم على وجهه علامات المفاجأة والدّهشة:

- ما هذا؟ .. حشيشٌ داخل أرغفة الخُبز ..

وصرخ أحمدُ منْ هوْل المفاجأة وصاح:

- حشيشٌ !!

وأعطى العيسوى تمامًا رسُميًا للضابط قائلا:

- تمامٌ يا فندمْ .. وجدنا تُربتين من الحشيش داخل أرغفة الخبز الّتى يحملُها هذا المتّهم..

ودُهشَ أحمد مؤمنٌ وقالَ للضّابط فى خوْف وارتباك:

- أُقسمُ باللّه يا حضْرة الضّابط أنه ليسَ لى دخْل بهذا الحشيش أوْ هذا القفص.

قالَ الضّابطُ مُؤكدًا الاتّهام:

- ولكنّنا وجدْناهُ معَك ضمْنَ أرغفة الخبز الّتى تحملُها..

وبكلمات ممزوجة بالخوْف والظُّلم والارتباك قالَ الشّاب:

- كما قُلتُ لسيادتك، لقدْ أعطانى رجُلٌ كبيرٌ فى السنّ منحنى الظّهر يبدو منْ ملابسه الفقْرُ هذا القفص حتّى يتوضّأ لأنّهُ لا يستطيعُ الدُّخول بالخبز دورة المياه.

- وهلْ دخلَ أمامكَ هذا الرّجُلُ إلى المسْجد مُتجهًا بالفعل إلى دورة المياه؟

- نعمْ .. نعمْ، وأنا أستطيعُ أنْ أتعرّفَ عليْه بمجرّد أنْ أراهُ.

فقال الضابط بلهجته الآمرة:

- رقيب أول العيسوى، خذ هذا المتهم ومعك ثلاثة من المخبرين، وقوموا بالتفتيش عن الرجل الذى أدلى المتهم بأوصافه، سواء فى دورة المياه أم فى المسجد.

- تمام يا فندم ..

ودخل أحمد متفائلا ممنيا نفسه بالعثور على صاحب القفص، وهو بين العيسوى والمخبرين الثلاثة، وقاموا بتفتيش دورة المياه والساحة الداخلية للمسجد، ولكنهم بطبيعة الأمر لم يعثروا على هذا الرجل المسن صاحب القفص.

واقتيد الشاب المظلوم وهو يبكى بكاء مرا - لأنه يعرف خطورة التهمة التى ستوجه إليه - ومعه قفص الخبز والمخدرات مصحوبا بهذا الركب المرعب من المخبرين وضابط الشرطة داخل عربتهم المميزة، حتى وصلوا إلى نيابة المخدرات، وامتثل الشاب أمام وكيل النيابة لاستجوابه والتحقيق معه، وبعد تدوين البيانات الأساسية من اسم وعنوان ووظيفة، حاول وكيل النيابة أن يعرف منه معلومات عن شركاء أو معاونين بخلاف قصته المتكررة التى رواها عن الرجل الفقير المسن صاحب قفص الخبز، فلم يظفر بشىء: لأنه فى الحقيقة ليس هناك معلومات غيرها لدى الشاب المظلوم.

واتصل أحمد من سراى النيابة هاتفيا بصديقه مصطفى غانم وشرح له فى عجالة الموقف، وسرعان ما اتصل الصديق بوالدة أحمد التى هالها الخبر وأفزعها ولم تعرف

تفسيرا لما سمعتْه، فاتصلتْ بمُحامٍ شابٍ يُدعى «أدهمْ رسلان». وذهب الثلاثةُ فى سيَّارةٍ أُجْرةٍ إلى سراى النيابة المحتجز فيها ولدُها الوحيدُ أحمدُ. وطوال الطَّريق والحاجَّةُ زينبُ - والدةُ أحمد عز الدين - لا تستطيعُ أنْ تجد إجاباتٍ على العديد من الأسئلة التى تدُورُ فى رأسها: - ما الذى حدث؟ وما علاقةُ ولدها بالمخدِّرات؟ وكيف وصلتْ هذه المخدِّراتُ إليْه؟

إنَّها تُقيمُ مَعَ ولدها الوحيد أحمَد فى شقَّةٍ مُتواضعةٍ بحىِّ السَّكاكينى بالقاهرة، وبعد أنْ تُوفِّى زوجُها - والد أحمد - بذلتْ كُلَّ ما تستطيعُ منْ جهدٍ فى أنْ تربيَه التربيةَ السَّليمةَ دينيًا وأخلاقيا وعلميًا، حتَّى تخرَّجَ بتفوقٍ هذا العام منْ كُليَّة التَّربية. ويشهدُ كُلُّ منْ تعامل معهُ بحُسن أخلاقه والتزامه بالسلُوكيَّات الدِّينية رفيعة المستوى وعلاقاته القائمة على القيم الدِّينية العالية منْ صدقٍ وأمانةٍ ووفاءٍ ونظامٍ وسماحةٍ ومُروءةٍ وشهامةٍ، وفوق كُلِّ ذلك تَقْوَى اللَّه فى كُلِّ ما يعْملُ. وهذا ما أكدتْهُ عندما تم التحقيقُ معها فى شأن التُّهمةِ الموجَّهةِ إلى ابنها الوحيد - وهى الاتِّجارُ فى المخدِّرات - وأوضحتْ بكلِّ ثقةٍ وصدْقٍ لوكيل النِّيابة الَّذى يأخُذُ أقوالَها أنَّ ولَدها أحمد لمْ يقتربْ فى حياته

منْ أىّ حَرام أو أصْدقاء سُوء أوْ حتّى تدخين السّجائر، وَهُو مثالٌ للاستقامة ويشهدُ بذلك كلُّ من يعْرفُهُ، فكيف يرتكبُ مثْلَ هذه الجريمة الشّنْعاء، وأوضحَ لَهَا وكيلُ النّيابَة أنّهُ تمّ القبْضُ على ولدها مُتلبّسًا وبحوزته قدْرٌ كبيرٌ منَ المخدّرات بقصْد الاتجّار.

وعندما التقى أحمدُ بوالدته وبصديقه مُصطفى وَمعَهُمَا المحامى أدهم رسْلانُ كَانَ لقاءً باكيًا أقسمَ فيه أحمدُ لوالدته وَمنْ مَعَهَا ببراءته وَقصَّ عليهم مَا حدَثَ بالفعْل. وسَالتْ دموعُ الأمّ المسكينة لوعةً عَلَى وَلَدهَا وَهِىَ تجزمُ ببراءته، وكَانَ السُّؤالُ البَارزُ والواضحُ لوكيل النّيابَة:

- هلْ لهُ أعداءٌ يمكنُ أنْ يُوقعُوهُ فى هَذه القضيَّة؟

وكانت الإجابةُ بَارزَةً وَواضحَةً أيْضًا:

- ابنى عُمرُه مَا كَانَ لَهُ أعداءٌ طيلَةَ حَيَاته.

فَقَالَ وَكيلُ النّيابَة:

- إذَا كَانَ الأمرُ كَذلكَ فَبمَ تُفسّرينَ مَا حدَثَ، إنَّ كُلَّ مُجرم يؤكّدُ أنّه برىءٌ.

وحاوَلَ المحامى أدْهَم رَسلانُ فى جلسته المنفردَة مَعَ أحمدَ أنْ يجعلَهُ يقصُّ عليه حَقيقَةَ أمرِ المخدّرات، وَهلْ يعملُ بمفرده فى هَذه التّجَارَة المحرّمَة أمْ هُناك شُركاءُ، وأفهمَهُ أنّه مُحاميه ويجبُ أنْ يَحكىَ لَه كلَّ شَىْء وَلا يُخفى عَنهُ أىَّ شَىْء، فيقسمُ لهُ الشّابُّ أنَّ مَا قَالَهُ هُوَ الحقيقةُ وَلا تُوجَدُ لَديه أيَّةُ أسْرار يُداريهَا أوْ يُخفيهَا.

ونظرَ إليه صَديقهُ مُصطفى غَانم وعيُونهُ تَقُولُ لصديقِه الغَالى أحمَدَ: مَاذَا عَنْ هَذَا الموقفِ يَا صَديقى؟ وَمَا الذى أوقعَكَ فيه؟ فيردُّ أحمدُ عليه بنظراتِه أيْضًا: مَا قُلتُهُ هُوَ الصِّدقُ يَا صَديقى وَلا أعْرفُ سَبَبَ أنْ يُزجَّ بى فى هَذهِ القَضيَّة.

واقتنعَ مُصطفى بصدقِ صَديقِ عمرِه وَهُوَ الَّذى يَعرفُهُ سنواتٍ طويلةٍ على الصَّلاح والفَلاحِ وَالاستقامَة.

وأمرَ وكيلُ النِّيابَةِ بأنْ يُسجَنَ أحمد عز الدين عَلَى ذمَّة التَّحقيق، ودخل أحمدُ السِّجنَ الَّذى لا يعرفُهُ إلا منْ خِلالِ بَعضِ الأفلامِ الَّتى يَرَاهَا فى مُسلسلات التليفزيُون، دَخَلَ مَعَ اللُّصُوصِ وَالمجرمِينَ وَالقَتَلَةِ وَتُجَّارِ المخدِّرَاتِ الحقيقيِّين، وكلُّ مَن يسألُهُ عنْ

جريمته التى دخل بسببها السجن يقول والدموع فى عينيه:

«حسبى الله ونعم الوكيل .. حسبى الله ونعم الوكيل .. اللهم من كادنى بسوء فاجعل كيده فى نحره، اللهم من ظلمنى هذا الظلم فخذه أخذ عزيز مقتدر واقطع دابره يا رب العالمين».

وفى أثناء نظر هذه القضية تمت ترقية يوسف البندارى إلى رتبة العقيد.

وأسرع العيسوى إلى العقيد البندارى يهنئه بالترقية، ويذكره بأمر ترقيته هو إلى رتبة المساعد، وانهى حديثه قائلا:

- إحنا خدامين السيادة يا سعادة الباشا، وإن ما فعلته لسعادتك أمر هين وبسيط، وإذا لزم الأمر فأنا على استعداد للتضحية بأحد أولادى من أجل رفعة شأن سعادتكم.

فقال له العقيد بامتنان:

- أشكرك يا عيسوى، واطمئن سأرفع قريبا مذكرة لسعادة العميد فاروق الدهشان أشيد فيه بإنجازاتك غير المسبوقة وأطلب ترقيتك إلى رتبة المساعد.

- هذا عشمى فى سعادتك يا باشا، ولا حرمنا الله من كرمك يا فندم.

وزالت الابتسامة من على وجه العقيد يوسف وحل محلها شىء من الضيق وتأنيب الضمير وقال للعيسوى:

- ولكننى فى ضيق بعض الشىء من هذا الولد الذى اتهم ظلما بالاتجار فى

المخدرات وضاع مستقبلهُ أو عمرهُ فى هذه القضيَّة.

فردَ عليه العيسوى مواسيًا:

- هذا هو نصيبهُ وقدرهُ يا سعادة الباشا، نصيبهُ اللى أوجده فى هذه الساعة أمام باب المسجد، وقدرهُ اللى جعل المخبر «فتوح» يختارهُ هو بالذات ويعطى له قفص الخبز وأنا أؤكد لسعادتك يا فندم بأنهُ قد قام بأعمال شريرة فى حياته لم يحاسبْ عليها وما وقع فيه بالفعل هو جزاءٌ لهُ على تلك الأعمال.

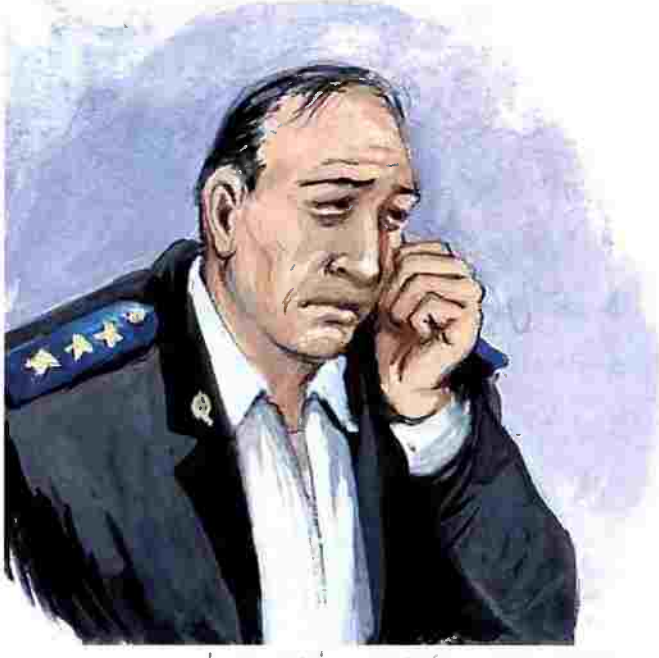

ووافق العقيدُ يوسفُ على هذا التفسير ليقنع به ضميرهُ الذى يوخزه من وقتٍ لآخر فقال: على ما يبدو أنَّ ما تقولهُ صحيحٌ يا عيسوى ..

وجاءتْ جلساتُ المحاكمة سريعةً طالبت النيابةُ فيها بأقصى عقوبة فى جرائم الاتجار فى المخدرات، وهى الإعدام، وخاصَّةً لهؤلاء الشَّباب من خريجى الجامعات الذين يسعون إلى الثَّراء السَّريع وتحقيق أحلامهم دون تعب أو اجتهاد، وبأساليبَ لا يرضاها الدينُ والمجتمعُ.

ويتساءلُ عضوُ النيابة إذا كانَ المتهمُ أحمدُ عز الدين ليسَ لهُ أعداءٌ، ولا يتهمُ أحداً في توريطه في هذه القضية، ويسردُ حكايةً ساذجةً لا يقبلُها عقلٌ أو منطقٌ، فهلْ يُعقلُ أنْ يُعطى أحدٌ ما هذه المخدِّرات - غاليةَ الثَّمن - لهُ ويهربَ منهُ، إنَّ تطبيقَ أقصى عقوبةٍ على المتَّهم لهو الحكمُ العادلُ حتَّى يكونَ عبرةً لأمثاله منَ الشَّبابِ الَّذينَ يروِّجونَ هذا السُّمَّ في أجيالنا الصَّاعدة.

وحاولَ المحامي أدهمُ رسلانَ الدِّفاعَ عنِ المتَّهمِ المتلبِّسِ في جريمته الخطيرة، وأقامَ دفاعهُ على تاريخ الشَّابِّ المشرِّف، وأخلاقه الحميدة الَّتي يشهدُ بها الجميعُ، وعلاقاته الطيبة معَ زُملائه وأساتذته وجيرانه.

ولكنَّ المحكمةَ لمْ تقتنعْ بهذا الدِّفاع، وأصدرتْ حكْمَها الحاسمَ بتحويل أوراق المتَّهم أحمد عز الدين حسن مؤْمن إلى فضيلة مُفتي الجُمهوريَّة.

ونزلَ الحكمُ كالصَّاعقةَ على الشَّابِّ وأمِّه ومُحاميه ومعارفه وزُملائه، والكلُّ لا يُصدِّقُ أنْ تكونَ هذهِ هيَ نهايةُ هذا الشَّابِّ المستقيم الَّذي لم يلاحظُوا عليه أيةَ نقيصةٍ من قبلُ ألا وهيَ حبلُ المشنقة. وتمَّ تغييرُ ملابس السِّجن الَّتي يرتديها أحمدُ بملابس السِّجن الحمراء، الَّتي يرتديها كلُّ سجينٍ ينتظرُ حكمَ الإعدام، وسُجنَ في زنزانةٍ بمفرده كما هوَ الحالُ لمثْل حالته.

وفي إحدى اللَّيالي قبلَ وُرود توصية مُفتي الجمهوريَّة، أيْ قبلَ صدور حكم الإعدام نهائيًا قامَ الفتى وهوَ في جوْفِ اللَّيلِ وتوضَّأَ وصلَّى ركعتيْنِ للهِ تعالى، وأخذَ يُناجي ربَّهُ

ويدعوهُ وهُو ساجدٌ لهُ قائلا:

«اللَّهُمَّ مُفرِّجَ الهَمِّ وكاشفَ الغَمِّ، ومجيبَ دعوةِ المضطرِّ إذا دعاهُ، رَحمنَ الدُّنيا والآخرةِ ورحيمَهُما، أسألُكَ أنْ ترحمَني مِمَّا أنا فيه، ارحمْني برحمةٍ تُغْنيني بها عنْ رحمةِ منْ سواكَ، اللَّهُمَّ إنَّكَ تعلمُ ما أسررْتُ وما أعلنْتُ، فيا عالمَ الأسرارِ علمَ اليقينِ، ويا كاشفَ الضُّرِّ عنِ البائسينَ، اكْشفْ عنِّي هذا الضُّرَّ، اللَّهُمَّ إليكَ أشكُو ضعفَ قوَّتي وقلَّةَ حيلتي وهواني على النَّاسِ يا أرحمَ الرَّاحمينَ، إلى منْ تكلُني إلى عدُوٍّ يتَجهَّمُني أمْ إلى قريبٍ ملَّكتَهُ أمْري، إنْ لمْ تكنْ ساخطًا عليَّ فلا أبالي، غيرَ أنَّ عافيتَكَ أوسعُ لي، أعوذُ بنورِ وجهِكَ الكريمِ الَّذي أشرقَتْ لهُ الظُّلماتُ وصلحَ عليه أمْرُ الدنيا والآخرةِ أنْ تُحلَّ عليَّ غضبَكَ أو تُنزلَ عليَّ سُخطَكَ ولَكَ العُتبى حتَّى ترضى ولا حولَ ولا قوةَ إلا بكَ، اللَّهُمَّ إنْ كانَ يُرضيكَ أنْ أموتَ مظلُومًا فأنا راضٍ وإنْ كانَ لا يُرضيكَ هذا الظلمَ فارفعْهُ عنِّي، وخُذْ ثأري ممَّنْ ظلَمَني وأرني فيهِ عجائبَ قُدرتِكَ يا أرحمَ الرَّاحمينَ يا ربَّ العالمينَ».

وانْتهى أحمد عز الدين منْ صلاتِهِ ومنْ دُعائِهِ، ونامَ ليلتَهُ قريرَ العينِ هادئَ النفسِ لا يُبالي بما سيحدثُ لهُ في الغدِ منَ النُّطقِ بالحكمِ النِّهائيِّ، وشاهدَ في منامِهِ وكانَ والدَهُ - رحمهُ اللَّهُ - ينظرُ إليهِ منْ مكانٍ عالٍ وهُوَ يلوِّحُ لهُ بيدِهِ ويبتسمُ ابتسامتَهُ

المعهودة. وقام أحمدُ من نومه وهو أكثرُ هدوءًا وأكثرُ رضًا. واقتيد فى سيارة الشرطة من السجن إلى محكمة الجنايات، وفى يديه الكلبشاتُ الحديديةُ. وأدخل قفص الاتهام. وكانتْ قاعةُ المحكمة ملأنةً بالحضور، ونظر أحمدُ فيهم فشاهد أمه والدموعَ فى عينيها. وشاهد صديق عمره مصطفى غانم الذى شجعه بنظرة أمل كما شاهد محاميه الشاب أدهم رسلان وهو يحاولُ أنْ يشجعه بنظراته رغم اليأس المحيط بالقلوب.

وصرخ حاجبُ المحكمة صرختهُ المعهودة ليعلن وصولَ قاضى المحكمة مناديًا:

- محكمة ..

ووقف الجميعُ فى صمتٍ وخشوعٍ، تشخصُ أبصارهم تجاه الباب الذى سيدخلُ منه القاضى. وفعلاً دخل القاضى وجلس فى مكانه فجلس الجميعُ وتعلقتْ القلوبُ بالكلمات التى سيتفوهُ بها والتى ستحددُ مصيرَ أحمد عز الدين، وبالفعل قال قاضى المحكمة بصوتٍ واضحٍ وقوىٍ:

- بعد الاطلاع على محاضر النيابة وحيثياتها فى القضيةِ رقم ٢٤٦ جنايات المتهم فيها أحمدُ عز الدين حسن مؤمن، وبعد سماع اتهام النيابة للمتهم فى جريمة حيازة مخدراتٍ والاتجار فيها، وبعد سماع الدفاع وشهادة الشهود، وبعد أخذ رأى مفتى جمهورية مصرَ العربيةِ حكمت المحكمةُ حضوريًا على المتهم أحمدَ عز الدين حسن مؤمن بـ ..

وسكت القاضى برهة من الوقت وأخذ يحملق فى الأوراق التى يقرأ منها الحكم وتعلق الجميع - وهم فى صمت مطبق - بشفاهه، ولم يكن أحمد فى قفصه يسمع سوى دقات قلبه التى سمعها عالية وكأن قلبه سيقفز من صدره..

وأعاد القاضى الجملة الأخيرة مرة أخرى وهو يحملق بتركيز فى أوراقه:

- حكمت المحكمة حضوريًا على المتهم أحمد عز الدين حسن مؤمن بـ .. بـ البراءة ..

وسقط أحمد فى قفص الاتهام مغشيًا عليه من هول المفاجأة وعدم تصديقه ما سمع، وخيم صمت على الجميع لعظم المفاجأة لفترة وجيزة تبعها صياح من بعض زملاء أحمد هاتفين: يحيا العدل .. يحيا العدل.

وصرخت الأم الكسيرة من فرحتها قائلة:

- يا مظهر الحق يا أرحم الراحمين، لك الحمد على كرمك وإحسانك.

وأسرع مصطفى غانم وزملاء أحمد والمحامى أدهم رسلان - الذى لم يصدق ما حدث - إلى قفص الاتهام كى يعيدوا إلى أحمد وعيه، ويهنئوه على البراءة غير المتوقعة.

الغاضب الوحيد فى القاعة والذى أعلن بعد سماعه الحكم أن هناك مؤامرة على العدل فى هذه القضية هو رئيس النيابة الذى كان يعرف مسبقًا بأن رد مفتى الجمهورية - كما هى العادة - هو الموافقة على إعدام المتهم أحمد عز الدين، وليس إعلان براءته، ورغم علمه بنزاهة القاضى الذى عرفه من قرابة عشر سنوات، إلا أنه شك فى هذه النزاهة فى تلك القضية.

وذهب رئيسُ النيابة إلى القاضى فى حُجرته داخلَ المحكمة، وبادرهُ قائلاً فى حدةٍ:

- سيادة القاضى، هلْ يُمكنُ أنْ أرى نصَّ الحكم الذى حكمتَ به فى هذه القضيَّة.

فأخرجَ القاضى الورقةَ المكتوبَ عليها نصُّ الحكم قائلاً فى هُدوء:

- تفضلْ هذا هُو نصُّ الحكم..

وعندما اطلعَ رئيسُ النيابة على نصِّ الحكم صاحَ بصوتٍ جَهْورىٍ غاضب:

- ما هذا يا سيادةَ القاضى !! الحكمُ الذى نطقْتَ به

ليسَ هُوَ المكتوبُ فى هذا النَّصِّ.

وهُنا فزعَ القاضى لما سَمعهُ قائلاً فى دهْشة: ماذا؟

وأكملَ رئيسُ النيابةِ حديثهُ بنفسِ الصوتِ الجهْورىِّ الغاضب: نصُّ الحكم المكتوبِ هُنا هُوَ: «حكمت المحكمةُ حُضوريا على المتَّهم أحمد عز الدين حسن مؤمنْ بالإعدام شنْقا».

وصُعقَ القاضى، وانتزعَ الورقةَ من رئيسِ النيابةِ ليقرأَ الحكمَ، فوجدَهُ فعْلاً كما قالَ فأقسمَ القاضى أنَّ ما رآه بعينِ رأسِه وهُوَ يتلُو الحكمَ فى قاعةِ المحكمةِ هُوَ البراءةُ وليْسَ الإعدامَ. وهُنا تذكَّرَ القاضى ذلكَ الضوءَ غيرَ العادىِّ الذى رآه على الورقةِ فى أثناءِ تلاوتِه للحُكْم والذى جعلَهُ يتوقفُ برُهْةً عَن الكلام، ولَمْ يجدْ تفسيرًا لذلكَ.

وقدم رئيسُ النيابة مذكرةً عاجلةً إلى النائب العامُ يشرحُ فيها ما حدث. فأمرَ النائبُ العامُ بإلغاء حكم البراءة، وإعادة محاكمة أحمد عز الدين، وتحويل القاضى إلى التحقيق بتهمة خيانة المهنة. ولمْ يستطع القاضى فى أثناء التحقيق معهُ أنْ يقدمَ أىَ تفسيرٍ لما حدث سوى أنه أقسم بالله العظيم وبشرف المهنة بأنَّ نصَّ الحكم الذى رآهُ فى المحكمة كانَ البراءة وليس الإعدام.

وأعيد التحقيقُ ومحاكمةُ أحمد عز الدين الذى لم يفرحْ ببراءته سوى ساعاتٍ قليلة، ولكنه اطمأنَّ لما حدث، وشعرَ أنَّ اللهَ معهُ، وأنه سبحانهُ وتعالى سيُظهرُ الحقَّ.

وفى صباح أحد الأيام استُدعى مأمورُ السجن الشابَّ المؤمن أحمد عز الدين وقالَ لهُ فى مُفاجأةٍ لا تُصدَّق:

- مبروك يا أحمدُ، أظهرَ اللهُ براءتَك كاملةً، وسيُفرجُ عنْك فوْرًا، وتستطيعُ أنْ ترفعَ دعْوى تُطالبُ فيها بتعويضٍ مالىٍّ عمَّا أصابكَ منْ أضْرارٍ ..

ولَمْ يُصدِّقْ أحمدُ ما سمعَهُ بأذنيْه، فقالَ والدُّموعُ تنهمرُ منْ عيْنَيْه:

- ماذا تقولُ يا سيادةَ المأمور؟ أهىَ الحقيقةُ؟ أأظْهرَ اللهُ سبحانهُ وتعالى براءتى؟

- نعَمْ يا أحمدُ يا وَلدى، وأحمدُ اللهَ أنْ كشفَ عنْكَ هذَا البلاء، فقدْ كنتُ دائمًا فى قرارةِ نفْسى أشْعُرُ أنَّكَ مظلومٌ، وأنَّكَ برىءٌ منْ هذه التُّهمةِ.

- ولكنْ كيفَ تمَّ كشْفُ هذه الحقيقةِ وعرفْتَ براءتى؟

فأوضحَ لهُ مأمورُ السجنِ أنَّ العقيدَ يُوسف البندارىَّ ذهب بنفْسه إلى النائب العامِّ وأقرَّ واعْتَرفَ بكُلِّ شىءٍ عنْ قصةِ ترقيتهِ واتهامكَ باطلًا، وندم على كلِّ ما أقدم عليْه، وقدْ

فعل ذلك بسبب فقدانه لابنه الوحيد سامح فى حادث طريق، وفى نفس اليوم اشتعلت النيران فى شقته الفاخرة فضاع كلُّ ما يملك، وأصيبت زوجته بحروق شديدة شوهتها تمامًا، وأيقن أن كلَّ ما حدث له بسبب ظلمه لك فذهب واعترف.

وخرج أحمد عز الدين من سجنه رافعًا رأسه وهو يقول:

- الحمدُ لله الذى أظهر الحق، وجعلنى أرى عجائب قدرته فيمن ظلمنى.

ونشرت الصحف قصة أحمد عز الدين كاملة، وردت إليه اعتباره، وأمر السيد رئيس الجمهورية - بعد أن قرأ القصة - بتعويضه بمبلغ خمسين ألف جنيه عما أصابه من أضرار لا ذنب له فيها.

أما العقيد يوسف البندارى فقد تم عزله من وظيفته، وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات وليس بأكثر من ذلك رأفة بما حدث له ولأسرته، ولأنه بادر واعترف بالحقيقة. وحكم على الرقيب أول العيسوى بالعزل من وظيفته وحكم عليه بالسجن عشر سنوات، وقد تم حفظ التحقيق مع القاضى عندما تأكد للمحققين خالص نيته، ولتاريخه المشرف فى القضاء لسنوات طويلة.

وعلى صدر حجرة الاستقبال فى شقته هو ووالدته علق أحمد عز الدين لوحة كبيرة داخل إطار مذهب - بجوار صورة لوالده - وقد كتب على هذه اللوحة:

﴿ ... ومن يتق الله يجعل له مخرجًا (٢) ويرزقه من حيث لا يحتسب ... (٣)﴾ (الطلاق)

صدق الله العظيم.